المثقف العربي وتنظير القمع...

عبد الكريم البرازجي

في اعتقادي ان على المثقف العربي اليوم ان يدرك ان هذه الدائرة المغلقة من القمع والتي تتوالد داخلها وتتناسل هزائم أمته العسكرية والثقافية والحضارية هي، في آخر المطاف من صنعه كمثقف وكمنظر للقمع الذي لم ولن ينتج عنه سوى الهزائم بعد الهزائم.

ان المثقف العربي كان وما يزال مسؤ ولاً الى حد كبير في تأسيس نظام القمع في وطننا والذي اصبح نظاماً شاملاً يحكمنا من المحيط الى الخليج ومن اقصى اليمين الى أقصى اليسار.

ذلك لان القمع الذي تمارسه الانظمة العربية الحاكمة ما هو الا تحول ضروري وتجسد حتمي لفكرة القمع التي في رؤ وس المثقفين.

ان القمع يبدأ فكرة في رأس لمثقف، يبدأ قناعة في ان الحقيقة معه، وينتهي هراوة في يد السلطة. آلة القمع افكار يعتقدها المثقف خاطئة. وانا لا أقصد هنا بالمثقفين مثقفي السلطة فقط، وانما اقصد كل المثقفين، سواء كانوا مع السلطة او ضدها، داخل السلطة او خارجها. ومن اليمين كانوا او من اليسار. فجميعهم يفكرون بطريقة قمعية، وجميعهم نظّروا وما زالوا ينظّرون لحرية حدودها القمع من كل الجهات، تماماً كما عمل اسلافهم من مثقفي المعتزلة. ان المثقف العربي الذي كان وما زال يضيق بأفكار الآخرين قد أدى الى أنظمة سياسية تضيق برؤ وس المعارضين فتفصلها عن اجسادهم.

. ولهذا، ففي رأيي ان المطلوب أو ما ننتظره من المثقف العربي اليوم، وبعد هذه السلسلة من الهزائم او الفضائح العربية، هو ان يكف عن ان يكون مصدراً لهذا القمع. عليه ان يعرف ان الافكار مهما كانت موغلة في القدم او الحداثة، في يمينتها او يساريتها، في سلفيتها او عصريتها لن تفيد هذا الوطن في شيء، ولن تخرجه من ذائرة الهزيمة والاستلاب. لقد بدّلنا افكارنا منذ هزيمة ٤٨ عشرات المرات، ومع ذلك فما زالت الهزائم تلاحقنا.

ما زلنا عاجزين عن الانتصار العسكري، عاجزين عن الابداع في كل المجالات. والسبب هو اننا كمثقفين نريد ان نعيش افكارنا على انقاض افكار أخرى، وكحكام نريد ان نثبت عروشنا وسط نهر من الدم.

لذلك أعظم تحول يمكن ان يؤدي بنا الى أعظم انتصار على تخلفنا وعجزنا، هو ان نعيش افكارنا كمثقفين، لا أن نغيرها بعد كل هزيمة ونستبدلها بافكار أخرى ومع صعود هذه السلطة او تلك، ان نعيش افكارنا من خلال دفاعنا بشراسة عن كل الافكار، ومن خلال تحولنا من مثقفين ننتمي الى هذا النظام او الحزب، الى هذا التيار الفكري والايديولوجي، الى مثقفين حقيقيين، ننتمي الى حرية الفكر والى مبدأ الحوار.

صنعاء اليمن